الفن منتجا وناقدا أن يعرف آخر ما وصل إليه البحث النفسي . وقد أصبح التقسيم التقليدي للبلاغة إلى معاني . وبيان . وبديع . غير ذات موضوع في البحث البلاغي . . وصارت البلاغة تدرس على أنها وحدة متصلة تبدأ من البسيط إلى ما يليه . تبدأ من الكلمة المفردة فالجملة والفقرة فالقطعة الأدبية وهكذا يقوم المنهج الفني البلاغي على أصول وأسس نفسية قبل كل شيء —

أين الأزهر — يا صديقي — من هذه الأبحاث التي تملأ شعاب المعاهد والكليات التي تشعر أن لها رسالة انشائية ابداعية . .

فهل تنفذ هذه الصيحات إلى حيث نأمل ؟ هذا ما نرجو أن يكون

محمد عبد الحليم أبو زيد

أعاصير

للأستاذ أحمد عبد القادر الصاوي

خرجت إلى الطريق وفي رأسي معركة . ومشيت ومشيت ، ولكنني كنت أمشي داخل نفسي ، وطالت الطريق . . ترامت أمامي وامتدت . . ترامت كما يترامى الزمن ويمتد ، وصعدت فيها وهبطت . وحين تطلعت بعيني لأرى ما بقي ، رأيت أنه على مسافات . ومشيت ومشيت

وكان يخيل إلي أحيانا أنني لا أمشي ، بل أسبح

وصلت ، وقدماي تتخاذلان . وتواريت في حجرتي . وتهالكت إلى سرير نبت على جوانبه الشوك . وتلفت نحو نفسي المنهوكة أسألها العون . وقادتني إلى مستقبل عبوس . قطعة من ظلام دامس خضتها حائراً

وطاف بي أمسي نقلني إلى فترة باردة . وانسكب وجداني في أودية من الذهول . . عميقة مظلمة

ودققت في أمري . وا كتشفت أنني مريض برضاي . وفرحت جدا . . سأتخلص من الداء . بيد أنني فشلت تماما واستلقيت في أحضان أوهامي ، وسريعا شملت كل أفكاري وأغمضت العينين . وإذا بي أتهادى وسط مواكب ومشاهد ، الذكريات مواكب ، والأحداث مشاهد . وتتابعت سلسلة من الصور طويلة جدا . وما برح الذهن يجذبها إليه ، فتطوى فيه طيا . وراح — وهو يستعرضها — يتمتمها . . يشيد هذا الماضي الوارف . إن الماضي رونقا

واستيقظ على صوت ينادي إلى الطعام . قام مرتبكا . وألقى جسده على أقرب كرسي . ومد يدا فاترة . وسألته :

— مالك ! — وأجاب — لاشيء

واستجمع همته ليسترد نشاطه المسلوب ، فتضاحك : — تعجلتم

— بل تأخرنا كثيراً

وعلته دهشة ، لأنه غالبا ما كان يحتج على تأخر الغداء . وقيل له : — هل تمرضت ؟

وأكل أثقل طعام . وأوهم من حوله أنه امتلأ . تنهدت والدته وتمتمت أخته

وأقبل الأصيل . وهبت الريح شديدة عاتية . وسمع لها عواء رهيبا . ومضى فترة ثم تتكشف نسيما رقيقا . وتنفست بسمات خفيفة على كبدي . . أفرجت عنها قليلا أن دفعات ناعسة أهدت إليها أريج البنفسج . وتذوب فيه

وتفتحت نافذة أمام روحي . وأطلت منها على عالم جديد

وتنبهت . . وعت وأرهفت لتستمتع بنظرة أو بضحكة أو بكلمة . وأنى لها على البعد والنوى !

وعادت العاصفة

وتتابعت أفكار كثيرة مزعجة . وجرفته بين طياتها أمواج عالية . ورسب واختنق

وكانت وساوسه كزوبعة تهب فلا تبقي

وأظلته سحابة داكنة . ولا يملك فؤاده ، فتتمتمه مجاهل ملتوية . . أشجانه وآماله

وظل يرقب نفسه حزينا وهي تتحلل وتتساقط . ورثى لها !

أشعة ساخنة تدفق في جوانحه . . تشيع في أنحاسه اللهب ما أحبه إليه لأنه يحيط قلبه بالدفء

وصورة أمام عينيه لا تنحرف عنهما . ما أكرمها عليه برغم حجابها الرؤية والمرئيات

أصبحت لا أرى . . أرى فقط جمالها وأنوثتها وفتنتها

أصبحت عجولا . . أود أن أنتزع من فوق الحوادث . . أسبقها ولا أطيق مكثا ...

وأقود نفسي إلى منزلها وأشواق تحثني . وأدعو قلبي إلى الصبر ، فلا يستجيب

وتشابكت السحب ، وراحت تزرف . وأحار تحت الدموع الغزيرة . وحولت خطاي إلى مسكني

وفجأة صفت السماء . وانثنيت مرة أخرى إليها . وتألقت النجمة في نافذتها كالماسة الكريمة . ونظرت ذاهلا ونظرت هي حزينة وخفق قلبي خفقة أحسست بعدها أنه يتصدع ويتداعى

رباه ، أيلاق بعض الناس ما ألاق ؟!

وانتزعت رجلي نحو العودة . انتزعتها نزعا

وتجمع الظلام على الدنيا . وتراكم على قلبي جبل حالك من الترهات

لو تستتر المرئيات . وتظهر صورتها لحياتي . وأشعر أن مخدرا يسري في جسدي . أخيلة وخيمة تنثال إلى رأسي كأخيلة رجل تناول قدرا كبيرا من المخدر ... وتضيق أنفاسي

وفتحت النوافذ والأبواب . ولكنها تتعقد في صدري واستقبلت السماء

ورأيتها القمر وحيدا حزينا . رأيتها كفجوة تخترق حائط الظلام الهائل . وجذبت نفسا طويلا . . لو استطعت كان أطول من الليل . ودخل الهواء الأسود رئتي

وبقيت في النافذة ، والليل أمواج ساكنة ...

وسمعت صوت أقدام ثقيلة وقورة . كان رجل الدولة يتولى حراستها ، ومر حوذي خاطب خيله مدللا إياها ربما أفاد كثيرا ذلك المساء . وأدار عربته ليأوي

ويمر أحد السكارى . . يطلق مزعجاته . . أغان مخنوقة مبتورة وفاجأه الجندي . كف ! ومشى مستخذيا

أولئك جماعة مابعد الساعة الواحدة بعد نصف الليل . كلهم مرح . كلهم سعيد

والليل يزحف فوق صدري كخيمة سوداء ، ليس لها نواح

تدركها العين . وتحولت إلى البدر كالغريق . . في غريق لجة قاتمة

ويلاه ! اختفى ، وترك الدنيا . كانت متعلقة بأشعته ، فلما قبضها هوت في بحر من الظلام

وأنظر من قاعه ، فيشاهد خيالي قمرا آخر . إنه يشرق من قلبي فيضيء حناياه . ويهزم الظلام . . يزحف ويولي

وأشاهد نفسي طافيا في بحيرة من الضوء . وأشاهد فتاة تسبح في ذهني ، وكلها مفاتن

... وجه كالزهرة الناضرة ، وقوام كالرمح المشوق ، وأنوثة تتألق وتزهو . وصوت كأصوات الملائكة . . ترتيل ونغم

تلك فتاة جمعت في نفسها حشدا من الحسن . . ستركع أمنع القلاع أمامه . . ستخر . ويل لقلب عزاء . . سيتزلزل . . سيهوى

ويل لعين رأت . لن تغفى . ستسهد

وأفتك ساقي الوجه عينان تثبتان على قلبي . تصبان عليه الوهج ناعما رقيقا . ما أبهجه !

وينصهر القلب تحت النظرات . . يترقرق ويسيل في مسارب ضيقة معقدة . وبحثت عنه فأخفقت . . تشربته المسارب الضيقة . غرق في أحزانه ! ويلي . ويله !

أيتها العينان ، مابال ذبولكما يسري إلى قلبي ؟ حسبت العين المريضة لا تمرض الأعين

أيتها العينان ، إذا تأملتكما أشرفت على قلب من النور

أيتها العينان ، أي صفاء بعثتماه في روحي ؟

أية مرآة أنتما أية صورة تعكسانها . أية صورة ترعرعت فيكما يارو حها ، أنت أنضر صورة وأجملها وفيها ؟!

إذا ما ارتسم في ذهني ، تخيلته يطبع عليه قبلة ، أشعر بعدها ببرودة رافية . وتقدمت بفمي أقتطفها . لم أصل !

إنني أفيد الخيال بالرافع ، فأنشئ قبلا ، لا تلبث فتنها — يا طالما تعلقت في حبال من الخيال . ويا طالما تراخت الحبال ، وما أسرع أن تتراخى !

فمها وردة متوهجة . إذا تكلمت تفتحت . كثيرا ماتفتحت الوردة فعطرت الحياة حواليها

وأتصورها الآن تتفتح ، فأسمع نغريدة تردها الوردة . . أسمع نبرات كلها موسيقى . كلمات موشاة منمقة مختصرة كخفقة الضوء ، ولكنها بليغة في أوج البلاغة وذروتها

لو سمتها وحدها حياتي كلها ، لعمر الله ، ما قمت ولا ملت !
والجبين الوضاح . والشعر اللين . والقوام المعتدل ؟
أسنة مشرعة نحو صدري
والليل متمدد على الدنيا كوحش خرافي لا يقف البصر على زواياه .. والسكون لا صور له .. موحش رهيب ..
وماتت الضوضاء
وتجمعت الحركات الساخنة في رأسي . وتحولت في تيار ساخن.
وازدحمت فيه بضعة أسباب مائتة للغز الذي أقاسي من أجل حله
ويشب الجوى ، ويثير في قلبي أحزانا . ويتحامل علي ، فيجرد لي فيلقا من الشجن
وينتقل اليأس في نواحي الروح ، فيهوي بها إلى قرارة الجسد ، وتغيب في ظلمات وأعاصير
ويتداعى الأمل . هل من بعث يعيد ما هلك في الأركان المعتمة ؟ أحاوله .. ألتمس ثغرة يتنفس منها ، فأمشي نحوها . أو خيطا من نور يؤدي إليه ، فأتعلق به ! وعجزت جد العجز ..
ويثق في قلبي الضيق . واستقر في بدني الملل . رحماك !
وتفتحت آذان السماء ، فرفرفت على عيني سنة قصيرة ، وانتبهت بعدها
تقضى الليل ، وآذن الفجر أن يولد . واستهل صراخ الوليد عن ضجيج الناس وحركتهم
واستيقظت الدنيا . واتسع الأفق وأضاء . وطلى الضوء كل شيء .. صبغه بلون الحياة والرضى والأمل . اللون البهيج
وآن لقلمي أن يتهد بعد امتداد بكائه
وألقى إلى صباحا خطاب . ونضضته وتسلسلت أمام عيني كتابتها . واتسعت حدقتها والتهمتا الكلمات حرفا حرفا
كل جملة تكون معنى قائما
كل كلمة تبرز تعبيرات شتى .. تمثل ضميرها ثم تطبعه على الورق ، فيكاد المداد الأسود يضيء
كل لفظ يستشف منه ضراوة البعد وصرامة الشوق ، واستبداد الألم
ويزدحم صدري بالمعاني الواردة ويصيغ مادة من التأويل المفكك والكتاب ، أوله حتى آخره صورة خلجات نفس هائمة ، والملح موزع في معانيه كلمة كلمة ، مرتسم عليها جملة جملة . وأول نظرة ألقيتها عليه أكدت أنه عمل روح جازع

ليس به تاريخ . ليس به عنوان ليس به إشارة إلى لقاء فأستند وأضع لهذه البلبلة حدا
وزاد الغموض ، أن بعض الكلمات أزيلت . لم يكتب شيء مكانها ، فارتبك بناء الجمل والمعاني . وتكبدت في حل تلك الرموز البالية العناء
قالت : سأحضر ، انتظرني !
وانتظرت حتى أودى الصبر . وانسلخت أربعة أسابيع وأيام..
هل برت ؟ !
وأصحب قلبي بعد طول المهلة إلى نافذتها . وأظل تحتها ساعة أو ما يعادلها ، فلا أرى الطلعة السمحة
ضللت معها وأبعدت
أقدمت أسير في صحراء قفراء .. أقطع الفيافي والمسافات ، فإذا تذكرتها ، وحللت من ذكراها في واحة نارية
أقدمت على النار ، وأنا أعلم أنها ليست النور ولا الدفء
وأقدمت !!

أحمد عبد الغفار الصاوي

ترجمتان لقصة المعراج

بقية المنشور على صفحة ٧٧٠

وقد يتساءل الإنسان كذلك عن قيمة البحث الذي قام به المستشرق تشيرولي والإجابة عن ذلك أنه نجح كل النجاح في إيضاح المسألة التي أثارها بلاثيوس ، كما أنه نجح في وضع هذه المسألة على أساس أمتن من الأساس الذي وضعها عليه المستشرق الإسباني
كذلك يمكن التساؤل عن موقف تشيرولي في هذا الموضوع..
لقد كان المستشرق الإيطالي شديد الحذر عند الإشارة إلى تأثير هذه المعلومات الإسلامية على فكرة دانتي ؛ ولذلك اجتهد في أن يثبت آراءه بأكثر مما يلزم من الأدلة وذكر أن من المحتمل كثيرا أن يكون دانتي قد تأثر بقصة المعراج بصفة عامة عندما خطرت بباله فكرة رحلته إلى الأقاليم الثلاثة؛ ولكنه لم يصل إلى الجزم بأن الملحمة مأخوذة بتفاصيلها عن قصة المعراج كما فعل بلاثيوس !

أمبرتو بريتانو